مدرس المادة: م.د. خالد تركي عليوي

القسم: التاريخ

المرحلة: الاولى

المحاضرة السادسة (الحضارة الفينيقية(٣٠٠٠-٣٣٤ ق.م))

العام الدراسي:٢٠١٦-٢٠١٧

الحضارة الفينيقية (٣٠٠٠ - ٣٣٤ ق.م)

إن الحضارة الفينيقية امتدت إلى أصقاع الأرض ذلك لأنها أول أمة بحرية في التاريخ. هذا الفضاء الذي ينمي عشق الحرية و يشحذ العزم على التحدي و تجاوز ما يخبئه البحر من ويلات، لهذا كانت الحضارة الفينيقية حضارة السيطرة على المحيط الطبيعي.

تاريخ الفين يقيون: احتل الكنعانيون منطقة بلاد الشام الواقعة بين البحر المتوسط و بلاد الرافدين، فسيطروا على معظم جزر البحر المتوسط حتى امتدت مستعمراتهم من قرطاج في شمال أفريقيا إلى كورسيكا و جنوب إسبانيا. أطلق عليهم اليونان اسم الفينيقيون Phoenix الذي يحمل معنى الأرجوان نسبة إلى اكتشافهم للصباغ الأرجواني. ضمت مستعمرات الفينيقيين بعض المدن الواقعة على الساحل السوري الممتد من أقصى شمال سوريا حتى جنوب فلسطين مثل صور، صيدون (صيدا)، بيروت، جبيل، أوغاريت، الإسكندرون، عكا... كما أنها ضمت مدينة قرطاج .

صيدا:

اتخذها الفينيقيون عاصمة لهم. انطلقوا منها ليؤسسوا محطات تجارية في دول عديدة و قد أثبت علماء التاريخ أن الفينيقيين وصلوا إلى أمريكا الشمالية و الجنوبية كما أنهم سبقوا كريستوفر كولومبس في اكتشاف القارة الأمريكية الشمالية بقرون عديدة. عرفت مدينة صيدا بتجارتها التي سيطرت على المنطقة خلال القرن الثاني عشر و الثالث عشر .

جبيل (بيبلوس)

اشتهرت جبيل بمكانتها الدينية و التجارية كما أنها عرفت بموطن ولادة الأبجدية الرومانية المأخوذة عن الكتابة الفينيقية. من الآثار الفينيقية الموجودة في مدينة جبيل: بقايا البوابات و الأسوار المحصنة للمدينة، و عدة هياكل و مقابر ملوك جبيل التي تقع تحت الأرض.

صور: انطلق منها الفينيقيون بقيادة الملكة أليسار و هي ابن الملك ميتينوس، ليؤسسوا مدينة قرطاج في شمال أفريقيا. أحرزت صور تقدماً في مجال التجارة مما جعلها تتفوق على صيدا. و قد عرف البحر المتوسط لفترة من الزمان ببحر صور. أما الآثار الموجودة في مدينة صور تعد قليلة، و منها: حاجز الماء و حائل الأمواج الذي يعد معزولاً عن ساحل المدينة، و مقبرة آحيرام الأول (الملك الذي حكم صور) التي تبعد بضعة كيلومترات عن المدينة .

بعلبك:

أنشأها الفينيقيون في أوائل العام ٢٠٠٠ ق.م فبنوا فيها أول هيكل الذي أهدى لإله الشمس، بعل. و من هنا حصلت المدينة على اسمها. لكن الهيكل لا يمكن رؤيته الآن بسبب الأعمدة الرومانية التي بنيت فيما بعد في بعلبك. كانت بعلبك، على عكس المدن لأخرى، معزولة عن التجارة.

قرطاج:

أسستها الملكة أليسار . عرفت قرطاج بعاصمة المجد و ملكة البحار بسبب ما احتلته من مكانة عالية من الرقي و التمدن و الازدهار. امتازت هذه المدينة بالحيوية و البراعة و الإبداع. استطاعت أن تسيطر على المستعمرات المغربية كما أنها لعبت دوراً "حضارياً" في شمال أفريقيا و جزر البحر المتوسط و بريطانيا .

المعتقدات الدينية عند الفينيقيين:

اعتمد الدين الفينيقي السامي الأصل على الاعتقاد بظاهرة الخصوبة و الإنتاج. آمن الفينيقيون ببعض قوى الطبيعة التي أحاطت بهم، كما أنهم عبدوا الكثير الكثير من الآلهة. كان لكل مدينة إله يعبد. سمى الفينيقيون بعض آلهتهم نسبة إلى المدن التي أقاموا فيها. و من الآلهة التي عبدها الفينيقيون و قدسوها: إله القوى الكامنة (الإله إيل)، آلهة الخصب (عشتار)، إله المطر (الإله بعل)، الإله (أشمون)، الإله (إيسيس) . أما في قرطاج، فقد عبدوا آلهة الخصوبة و الإنتاج (تانيت)، و الإله (بعل آمون) بالإضافة إلى الآلهة التي عبدت في بلاد الشام. و قد استمرت عبادتهم حتى العهد الروماني. اعتقد الفينيقيون بالحياة الثانية فبنوا مقابرهم التي وضعوا فيها الميت بالإضافة إلى أدوات خاصة به للاعتقاد بأنها ستلزمه عند قيامه في الحياة الثانية. و قد امتازت هذه الأدوات بالبساطة فضمت بعض الأدوات المنزلية التي كان يستعملها الفينيقيون كالأواني الفخارية و المصابيح الزيتية. إلى جانب المقابر، شيد الفينيقيون معابد امتازت بالتأثر بالطابع اليوناني و قد اهتم بها الكهنة المتفرغون الذين عرفوا بتوارث الكهانة في عائلتهم.

نظام الحكم في فينيقيا:

تألفت فينيقيا من عدة ممالك و ضمت كل مملكة مدينة اعتبرت عاصمة لها. عرف نظام الحكم في فينيقيا الملكي الوراثي حيث كان يمثل الملك الآلهة و له السلطة المطلقة في إدارة شؤون المملكة التي يحكمها. أما كبار المدينة و رجال الدين والقضاة لعبوا دور مساعدو الملك في إدارة المملكة. أما الجيش فقد تكفل حماية المملكة و تأمين القوافل التجارية .

إنجازات الفينيقيون:

اختراع الأبجدية:

تعد اختراع الأبجدية من أعظم ما قدمته الحضارة الفينيقية للبشرية. ابتكرت هذه الكتابة عام ١١٠٠ ق.م و قد تألفت من ٢٢ حرفاً يمثل كل واحد منها صوت معين. سميت أيضاً بأبجدية جبيل. استعان الفينيقيون بالكتابة السومرية و المصرية القديمة ثم طوروها مع مرور الزمن. في البداية، كانت تكتب هذه الحروف على ألواح من الطين أو الفخار ثم فيما بعد، كتبت على أوراق البردى المصرية. لقد كتب الفينيقيون هذه الحروف من اليمين إلى الشمال (مثل الغربية) و نشروها في جميع بلاد العالم شرقاً و غرباً؛ ساهم في نشرها قدموس الصوري. أكسب اختراع الأبجدية فينيقيا مكاناً هاماً في تاريخ الحضارة . اكتشاف الصباغ الأرجواني: كان الفينيقيون أول من اكتشف اللون الأرجواني فاستخرجوه من أصداف المريق و هي نوع من المحار وجد بالقرب من الشواطئ الفينيقية. أدخل الفينيقيون الصباغ الأرجواني على أقمشتهم فاشتهروا بصناعة الأقمشة الأرجوانية اللون. صناعة السفن: كانت السفن الفينيقية عبارة عن مراكب شراعية تتألف من سارية واحدة، شراع مربع، و مجاديف يدوية. اعتمد عليها الفينيقيون في تجارتهم و أسفارهم و تبادل صناعاتهم مع الدول الأخرى المجاورة لها و البعيدة عنها . الحياة الاقتصادية في فينيقيا: ازدهرت الحياة الاقتصادية في فينيقيا بسبب تقدمها صناعة و تجارة و حرفة. تركز عمل الفينيقيين على البحر فعملوا بصيد السمك و الإسفنج و الملاحة و صناعة السفن. كما أنهم برعوا في صناعات عديدة منها صناعة العاج و الزجاج و الأقمشة الأرجوانية اللون و الزهريات الحادة القعر و الفخاريات. ساهم اطلاع الفينيقيون على صناعة الحديد (في الألف الثاني ق.م) في صناعة الخزف. كان الفينيقيون يقلدون الصناعة المصرية و الكريتية و الميسينية مما مكنهم من بلوغ منزلة عظيمة في الصناعة و الفن. بعض هذه الصناعات (الفخار و الزجاج) محفوظة الآن في متحف طرابلس. أما بالنسبة للتجارة في

فينيقيا، فقد بلغت أعلى درجاتها و تنوعت الأغراض التي تاجروا فيها فكان منها الصباغ الأرجواني و الأقمشة، الزجاج، المعادن، الفخار، النبيذ، الغار و الأرز، الخشب... كل هذه الأشياء كانوا يتبادلونها مع اليونان، إيطاليا، إسبانيا، و الجزر المتوسطية. كما أنهم خاطروا بالإبحار إلى أبعد من ذلك حتى وصلوا الرأس الأخضر في بريطانيا. - أصبحت فينيقيا أحد أغنى و أهم المقاطعات في الإمبراطورية الفارسية و استولى الاسكندر الأكبر على فينيقيا عام ٣٣٢ ق.م.

# الأقوام الأخرى

## العبريون :

لاتوجد اشارات تاريخية دقيقة وصحيحة عن العبريين ولايوجد كتاب تاريخي واحد يثبت علمياً ان العبرانيين هاجروا من جزيرة العرب على اعتبار انهم قوم واحد ذا صفة جنسية واحدة ام هم جماعات آمنت بديانة واحدة وجمعتهم ظروف واحدة .

ان هذه التساؤلات تحتاج الى دعم علمي واسع يعتمد على اسس تاريخية واضحة وتحليل الحقائق التاريخية من النصوص التاريخية المعاصرة للفترة الزمنية لهؤلاء القوم.

لذلك واستنادا إلى التحليل العلمي للتاريخ واستنباط الحقائق التاريخية العلمية وابتعاداً عن اقوال المؤرخين المتعصبين للصهيونية والمعادين والحاقدين على تاريخ الامة العربية والذين ابتعدوا ابتعاداً كلياً عن الواقع .. بل انهم زيفوا التاريخ وحللوا الحقائق التاريخية وشوهوها واعتمدوا على كتاب اساطير التوراة. ونحن لانريد ان نكون مغالين ومتعصبين ضد هذا الكتاب بل اننا نستطيع ان نرد على هذه الاساطير معتمدين اعتماداً كلياً على مارهنتنا به الحفريات التي دمغت هذه الاقاويل مع معرفتنا من خلال الكتب السماوية الاخرى ان هؤلاء قد حرفوا هذا الكتاب وكتبوه وفق اهوائهم. لذلك فلا يمكن ان نقع في نفس الخطأ الذي وقع فيه المؤرخون في اعتمادهم للمعلومات التاريخية من التوراة وحده. ونحن نعرف ان هذا الكتاب قد كتب على يد المؤرخين اليهود ليمثل وجهة نظر معينة لفترات مختلفة من الزمن، أي أرخ للحوادث السابقة بقرون عديدة مع العلم ان هذا الكتاب لم يصل الينا بالشكل النهائي المدون بل ان مادته قد مرت بعدة ادوار تطويرية من الرواية الشفهية ثم الانتخاب والحذف إلى المرحلة الاخيرة وهي مرحلة التدوين بالشكل الحالي.

اما الذين دونوا هذا الكتاب فهم كثيرون اشتركوا جميعاً في تدوينها وفترات زمنية مختلفة ومتباعدة ومن ابرز هؤلاء المدونين والذين اثروا في الديانة اليهودية وفي تطورها الكاهن ( كرهين) الذي كان يشغل معلماً ووظيفته الرئيسية تدريس الشريعة وتفسيرها وشرحها لليهود اضافة إلى عمله في الكهانة واقامة الشعائر الدينية وتفسيرها. هذا إلى جانب المدونين من الكهان والاحبار في فترات زمنية اخرى. لذلك فان الكتابات التاريخية لاتذكر الشيء المفصل الكثير عن هؤلاء القوم. وان الشيء الذي وصل الينا اعتمد اعتماداً كلياً على الاساطير العبرانية وخصوصاً قبل الاكتشافات الاثرية المهمة لذلك فنحن بدورنا لايمكننا الاعتماد من الناحية العلمية على هذه الاساطير، اذ اثبتت التنقيبات والابحاث الاثرية على عدم صحة اكثر الاساطير التي وردت في التوراة كما ان هناك ابحاث آثارية سواء في بلاد وادي النيل او بلاد الشام او بلاد وادي الرافدين قد برهنت بعكس هذه الاساطير بل وعثرة على مواد تاريخية تعود الى غيرهم اضافوها إلى انفسهم زيفاً.

وعلى هذا الاساس فان التاريخ العبري يمثل تاريخاً مزيفاً ومسروقاً ومفترض افتراضاً لايستند على اسس علمية ثابتة، حيث نعرف من خلال دراستنا للتاريخ القديم وتحليل الدروس من الكتابة ان ارض بلاد الشام بالمفهوم الواسع ( سوريا - لبنان - فلسطين - الاردن ) هي ارض الكنعانيين والاموريين والآراميين والانباط والتدمريين، لذلك فاولئك العبرانيون الدخلاء الرحل او شبه الرحل ضموا في جنباتهم عناصر كنعانية وحورية وحثية وغير ذلك من العناصر المختلفة من مهاجرين ومرتزقة وجنود لارتباط عرقي ثم استقروا بالتدريج بين السكان الذين سبقوهم وتعلموا منهم مختلف النواحي الحضارية حتى اللغة تعلموها قراءة وكتابة بحيث اصبحت اللغة الكنعانية لغتهم الخاصة بل الاكثر من ذلك اصبحوا ينتحلون مظاهر كنعانية واضحة

(١) مورتكات ، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص ٣.

في كل شيء وهذا مازودتنا به النصوص التاريخية، خصوصاً بعد حل رموز الكتابات القديمة والتوصل إلى قراءتها بصورة صحيحة تبين لنا الزيف التاريخي الذي ابتدعه هؤلاء القوم، فالنصوص تشير وبرضوح إلى الفترة المضطربة في بلاد الشام وخصوصاً فترة الصراعات السياسية بين ثلاث امبراطوريات في العالم القديم وهي الامبراطورية المصرية والامبراطورية الآشورية والامبراطورية الحثية بحيث تذكر هذه النصوص ان جماعة من المرتزقة الاجانب الذين يطلق عليهم في النصوص المسمارية (الخابيرو) اخذوا يداخلون البلاد من الجهة الجنوبية، وقد فسر بعض العلماء هذه الكلمة الاكدية (الخابيرو) مرادفة لكلمة عبري وعبراني بمعنى الذي يأتي من الجانب الآخر او بمعنى العابر وهذا هو عين الحقيقة في التاريخ، ويفند مزاعم المؤرخ الالماني اليهودي هوغو شلونز في عام ١٨٧١م في ادعائه ان العبرانيين جزء من القبائل السامية على اساس افتراض الساميين وجدوا في جزيرة العرب وباعتبار انهم نسل سام بن نوح متناسياً ان النصوص الكتابية في التاريخ القديم قد اثبتت عدم صحة هذه التسمية، ولكي يعطي دليلا شرعياً لهؤلاء المرتزقة الذين لم يروا جزيرة العرب في يوم من الايام ويعتمد بذلك على اسس مقولة متشابهة متناسياً ان هؤلاء القوم قد تعلموا اللغة الكنعانية في بلاد الشام هذا إلى جانب مازودتنا به التنقيبات الاثرية في بلاد وادي الرافدين بالمعلومات الوافية الصحيحة عن وجود سلالات لاتمت بصلة إلى هذا التقسيم خصوصاً السلالات السومرية بعد الطوفان( على اعتبار ان البشرية بعد الطوفان تكونت من اولادنوح: سام، حام، يافث..).

لذلك فالنصوص المسمارية المتأتية من اماكن كثيرة سواء من بلاد وادي الرافدين او في بلاد الشام تصف هؤلاء بانهم عبيد ومرتزقة باختيارهم أي يبيعون انفسهم لمن يشتريهم، كذلك وردت هذه الكلمة (الخابيرو) في النصوص المصرية القديمة في حدود ١٣٠٠—١١٥٠ بشكل (الخابيرو) او (افيرو) مما يعطي الدليل القاطع على انهم (الخابيرو) كذلك ورد اسم الخابيرو

في الكتابات(١) المتأخرة من الامبراطورية الحثية في عهد الملك الحثي مرسيليس الاول، حوالي ١١٠٠ق.م الذي استأجرهم كمرتزقة في جيشه، هذا إلى جانب ورود اسمهم في مراسلات تل العمارنة عاصمة الفرعون المصري اخناتون، وكذلك ورد اسمهم في مراسلات مدينة ماري (تل الحريري) الامورية في بلاد الشام.

من كل هذه النصوص التاريخية نستدل وبالعلمية الواضحة واستخلاص الحقائق التاريخية ان هؤلاء المجموعة التي اطلق عليها اسم العبرانيين لاتمثل اسما عرقياً منحدراً من اصل واحد بل مجموعة من الرحل والاجانب وقطاع الطرق والاشقياء المستعدين لتلبية نداء الالتحاق إلى أي صف من صفوف الجيوش المتحاربة في المنطقة لقاء الاجر والحصول على المغانم، وهاهم اليوم يمارسون نفس الدور في المنطقة العربية.

لذلك ان هذه التسمية التي وردت في المراسلات الملكية للامبراطورية الحثية والنصوص العائدة إلى تلك الفترة لم يختلف اسمها عن اولئك العبريين الذين ذكرتهم التوراة، ونحن لو نظرنا اليهم من الناحية العرقية لوجدناهم كما هم اليوم لايشكلون ذلك الشعب ذو الخصائص العرقية الواحدة وانما هم اتحاد من عصابات اللصوص الصحراوية التي لا ارض لها بدأت تتجه إلى الارض الكنعانية العربية، وحدتهم ديانه واحدة هي ديانة الاله يهوا، مع الغموض الذي يحيط بتاريخهم في بلاد الشام رغم الكتابات التي تناولتها اقلام المؤرخين على شكل سجل اسطوري تقليدي، فالتاريخ من وجهة نظر اليهود يزعم ان هناك ثلاث هجرات رئيسية وهذه الهجرات مزعومة ومفترضة وغير علمية بوجه التأكيد وانما مستنتجة من مآثر عبرانية تمثل وجهة نظر خاطئة وذلك لعدم ثبوتها علميا ومخالفتها للوقائع التاريخية.

(١) اول هذه الهجرات المفترضة هي هجرة ابراهيم الخليل عليه السلام الذي رحل من اور إلى حران واقام في منطقة حبرون (الخليل) وترك وريثه

(1) Hitti, op - cit P . 178

اسحاق مع اعمال اسماعيل. وقد ورث اسحاق يعقوب، ومن يعقوب انحدر الاسباط الاثنى عشر، وبعد اقامة يعقوب في (فدان ارام) (حران) وقع عليه الاختيار الالهي ليكون احد الرسل في المنطقة وتغير اسمه فاصبح (اسرائيل).

(ب) اما الهجرة الثانية فكانت تقترن مع هجرة الاراميين في القرن الرابع عشر قبل الميلاد.

(ج) اما الهجرة الثالثة فتتمثل في خروجهم من مصر بقيادة موسى ويوشع في حدود ١٢٩٠ قبل الميلاد (القرن الثالث عشر قبل الميلاد).

هذا هو مختصر تاريخ العبريين كما وصفه الكتبة والكهان اليهود واعتمد عليه المؤرخون في كتابة تاريخ العبرانيين مستندين على هذه الحوادث التي حدثت قبلهم بمئات السنين ومستندين كذلك على السماع والرواية الشفهية والاساطير والخرافات التي سبقتهم بزمن قديم، لذلك نراهم قد ابتدأوا تاريخهم بابراهيم وتوسعوا في قصة خلق الانسان منذ الخليقة مستندين في ذلك على مصادر بابلية حيث كشفت التنقيبات الاثرية في منتصف القرن الماضي عن زيف هذه الاساطير المنسوبة للعبرانيين كنتيجة للتفسيرات العلمية وحل رموز الكتابات المسمارية. ان هذا التاريخ مستنسخ من تاريخ الامم التي سبقتهم بمئات السنين، لهذا نستدل على ان التاريخ الذي كتبه العبرانيون في بداية حياتهم ليس بتاريخ يمثل تراث امة فمن السهولة الرد على هذا التاريخ واستخلاص الحقائق العلمية وخصوصاً في الاعتماد على مايسمى بدراسة التاريخ المقارن مع حصولنا على كثير من المصادر الكتابية خصوصاً في ما يتعلق بالدراسات المسمارية ودراسة العلوم الدينية الى جانب الدراسات الحضارية للتاريخ القديم في تلك الفترة الزمنية على اعتبار ان تاريخ الامة العربية لايجزأ الى تاريخ اقليمي.

---

(١) طه باقر، المقدمة، ص ٢٨١

تاريخ بني اسرائيل - (١ - ٢ - ٢)

تأول رد على الهجرة المفترضة التي جعلت من ابراهيم الجد القبلي للعبرانيين هي أن تاريخ ابراهيم قد سبق تاريخ الديانة اليهودية بمئات السنين حيث نعرف من دراستنا لتاريخ الجزيرة العربية وبلاد الشام وخصوصاً مايعرف بالهجرات الآرامية واستيطانهم بلاد الشام وبلاد وادي الرافدين ، ان احدى الفروع الآرامية في القرن الثامن عشر قبل الميلاد قد استقرت في بلاد وادي الرافدين وعلى هذا الاساس ان ابراهيم ليس عبراني بل عربي آرامي استوطن بلاد وادي الرافدين ومن ثم هاجر الى حران المدينة الام للقبائل الآرامية حيث الثقافة المزدهرة التي نعرفها عن تلك المدينة من خلال دراسة التاريخ الآرامي ، كذلك نستطيع ان نستشف الحقائق من الحفريات التي وقعت فيها التوراة ، فكيف يجد العبرانيين يولد في منطقة ارامية من ابوين ارامين ويرحل الى منطقة آرامية ويتكلم اللغة الآرامية ويتزوج امرأة آرامية وهي (رفقة) الحرانية ، كما أن ابنه اسحق ولد في هذه المنطقة وتزوج ايضاً ، متناسين ان الكتابات التاريخية المعتمدة على النصوص المسمارية ستكشف هذا الدجل والزيف ، مع العلم أن التوراة تذكر أن الاجداد يتكلمون الآرامية ، فأين اللغة العبرية للعبرانيين التي اعتمد عليها الكاتب الصهيوني شلوتزر ... هذا الى جانب ماورد في القرآن الكريم حيث تقول الآية الكريمة ﴿ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً﴾ الخ الآية الكريمة . ان هذا الاستشهاد القرآني الى جانب الاستشهادات التاريخية تبين لنا أن هؤلاء العبرانيين حاولوا ان يكونوا لهم نسباً معروفاً يستندون عليه .

اما الهجرة الثانية التي رافقت دخول الهكسوس الى مصر فالكتابات التاريخية تفند تلك الهجرة وهذا ماعالجناه في فترة الحكم العربي في مصر في بحثنا عن الهكسوس في حضارة وادي النيل ، حيث نعرف ان الكتاب اليهود في القرن الثاني الميلادي سرقوا بعض كتابات المؤرخ المصري الكاهن (مانيثو) الذي دون التاريخ في حدود ٢٨٠ ق م. ليرد على كتابة احد اساقفة الاسكندرية عندما كتب مقالة عن اليهود فوصفهم بانهم شذاذ آفاق لايرجعون

الى ارومة واحدة وهذا ماحدا باحبار اليهود ان يدعوا زيفاً ... به الكتابات القديمة ويعتبروا انفسهم من بقايا الهكسوس معتمدين على اسم يوسف بن يعقوب ومكانته التي نالها عند الحكام الهكسوس في مصر على اعتبار أن يوسف يمثل الجنيد لجدهم ابراهيم .

(١٢) اما الفترة الثالثة فهي في الحقيقة اكثر وضوحا من الفترتين السابقتين نظراً لورود هذا الحادث في اكثر الكتابات القديمة مع ذكرها في الكتابات الدينية الاخرى لذلك فمن الممكن أن نلقي بعض الاضواء على هذه الفترة من التاريخ السياسي القديم للمنطقة العربية وهي الفترة التي ذكرت في المآثر العبرية خصوصاً التوراة حيث تذكر ان الاضطهاد بدأ بعد طرد الهكسوس من بلاد وادي النيل على اعتبار ان هؤلاء العبريين هم من بقايا الهكسوس أتى اطلاق صفة جنسية لهؤلاء القوم متناسين ان الهكسوس كانوا قبل دخولهم مصر اصحاب دولة في بلاد الشام دخلوا مصر بجيش منظم وبأسس جديدة لذلك فمن السهولة ان نكشف من خلال النصوص التاريخية الواردة في الكتابات المسمارية وفي كتب المراسلات الدولية بين ملوك الشرق الادنى القديم أي ما يعرف برسائل تل العمارنة في زمن امنوفس الرابع ( الفرعون المصلح اخناتون ١٣٧٧ — ١٣٤٥ق .م) مع ذكر الحوادث المهمة في التاريخ السياسي لبلاد وادي النيل في الفترة المعروفة بفترة الامبراطورية المصرية التي تأسست في حدود عام ١٥٧٠ وهي الفترة التي تم فيها انحسار حكم الهكسوس عن مصر والتي يذكرها اكثر المؤرخين مع التوراة بانها فترة الاضطهاد بالنسبة لتاريخ العبري مع العلم انهم أي المؤرخين يقارنون انفسهم وحتى التوراة في سفر الخروج تذكر بالنص الواحد « ان الفرعون لم يكن يعرف يوسف » ( سفر الخروج الاول الثاني) . والفرعون هذا هو رعمسيس الثاني الذي حكم في الفترة مابين ١٣٠١ — ١٢٣٤ باي فرعون تقصد التوراة (١) ؟

لذلك فقد حصل الخروج من مصر في عهد رعمسيس الثاني وعلى وجه التحديد في عام ١٢٩٠ قبل الميلاد ، فمن هذا التاريخ نستنتج الفرق الزمني

(١) نيلسب حتي، المصدر السابق، ص ١٩٣

بين خروج الهكسوس من مصر في عهد الفرعون احموسة (١٥٧٠) وما بين الخروج بقيادة موسى في عهد رعمسيس الثاني (١٢٩٠) اي أن الفرق الزمني هو ٢٨٠ سنة فهل من المعقول ان يستمر هذا الاضطهاد الذي يقارب الثلاثة قـــرون .

لذلك فمن خلال دراسة الاحوال السياسية والاجتماعية والدينية في تاريخ بلاد وادي النيل وبلاد الشام والتي لها علاقة بهذا الخروج نستشف الحقيقة التاريخية لعملية الخروج من مصر وهي أن الثورة الدينية التي قام بها الفرعون المصري امنوفس الرابع ( اخناتون ١٣٧٧ — ١٣٤٥) قبل الميلاد حيث قلبت الديانة المصرية من عبادة آمون الى عبادة الاله الواحد المتمثل بقرص الشمس آتون وتدخله المباشر بشؤون الدين واعمال الكهنة ولاسيما كهنة المدينة المقدسة طيبة والسبب في ذلك يعود الى تأثره وتتلمذه على يد كهنة مدينة هليوبولس اصحاب الكره الثقيلة لكهنة طيبة واتهامهم بالتلاعب بأمور الدين واستغلاله للتدخل في شؤون الدولة وبسط نفوذهم على الملك والشعب مما حدى باخناتون عند تسلمه العرش الفرعوني باحداث انقلاب في التعاليم الدينية وتطبيقها على اسس التعاليم التي تلقاها من كهنة مدينة هليوبولس وهي تجريد رمز الفرعون المقترن بالشمس والذي يتمثل في جسم انسان برأس صقر يحمل فوقه قرص الشمس بحيث ازال هذا الرمز وابقى قرص الشمس وحده واضاف الى الشمس شعاعاً جعله يتساقط على وجه انسان وينتهي في راحة يديه رامزاً بذلك الى الحياة التي هي من خصائص الاله الشمس .

على اثر ذلك بدأ اخناتون ثورته الدينية وهي عملية التوحيد ونقل عبادة الاله آمون وعبادة الاله الشمس وحده المتمثل باتون ، اي بالمعنى الواسع كانت هذه اول دعوة الى التوحيد .

وتضمنت التراتيم التي وضعها اخناتون معتقدات وآراء ترددت بعد ذلك باجيال في ديانة اليهود المرتبطة بهذا الحادث وخصوصاً المزامير المنسوبة الى داود وهذا دليل قاطع على ايمان هؤلاء النفر بهذه الفكرة وتعرضهم

للاضطهاد وبعد وفاة هذا الفرعون وخصوصا ان الفراعنة الذين جاءوا بعد هذا الملك الذي لم يخلف وريثا على العرش من بعده قد نبذوا عبادة التوحيد وبدأوا يرجعون الى ديانتهم السابقة وهي عبادة آمون واضطهاد كل من ادان بالدين الجديد وهذا هو سبب الاضطهاد الذي تتكلم عنه التوراة

اما دعوة موسى فقد لاقت اذناً صاغية عند هؤلاء القوم لتخليصهم من الاضطهاد الذي بلغ اشده في زمن رعمسيس الثاني اي بفترة حكم ٥٠ سنة منذ وفاة اخناتون الى الخروج من مصر عام ١٢٩٠ قبل الميلاد . وهنالك اشارات تاريخية تشير الى ان موسى قبل تبلغه بالرسالة السماوية كان احد اتباع الفرعون اخناتون لذلك نرى ان الظروف السياسية اصبحت غير مواتية لوجوده في مصر فعزم على الهروب الى شبه جزيرة سيناء حيث الامان أكثر نظراً لوجود القبائل العربية في تلك المنطقة وعدائها التقليدي لبلاد وادي النيل مما مهد الامان إلى موسى في « مدين » الواقعة في جنوب صحراء سيناء : تزوج موسى ابنة شعيب الذي كان يعبد الاله ياسم يهوا وهو اله من آلهة بدو العرب الشمالية وفي هذه المنطقة تلقى موسى الرسالة الالهية فعاد إلى مصر يدعو الناس إلى الديانة الجديدة المتمثلة بعبادة الاله الواحد .

بدأ موسى يبث دعوته في مصر وكانت الدعوة عامة وليست خاصة فهي كأي ديانة سماوية تستقطب من يشاء ويتركها من يشاء ، يساعد موسى على ذلك درايته باللغة المصرية .

وهناك من يشير إلى اصل موسى المصري معتمدا على التسمية لورود هذا(١) الاسم ودخوله في كثير من الاسماء المصرية الذي يعني باللغة المصرية ( ابن) وربما كان يسبق اسم موسى اسم آخر اى ان الاسم مركب مثل آمون موسى واحموسي ورع موسى وطحموس ... وقد حذف الاسم الاول لموسى وجرد من صفة الوثنية وهو امون فبقي الاسم موسى ليدل على انه لايخضع إلى اى اله غير يهوا ( الله) وبالنسبة للالهة يهوا لايعرف اصلة فالباحثين قد اختلفوا

(١) هـ. باتر ، المقدسة ، ص ٢٨٤

ايضا في اصله فمنهم من يعتبره من الآلهة المقترنة بالبراكين ، وبعضهم اعتبره اله القمر حيث معبده ومسكنه في الخيمة وتدور طقوس عبادته على الاعياد وتقريب الذبائح كقرابين له ، اما الاسم يهوا فلا يعرف اشتقاقه بوجه التأكيد وربما قد تكون من الفعل «هوه» بمعنى اوجد .

لذلك عزم موسى على الخروج من مصر مع الجماعة التي آمنت به والتي تحوي على عناصر مختلفة الاجناس تجمعهم رابطة واحدة هي رابطة الدين الجديد المتمثل بعبادة الاله يهوا ، اي ان وحدة مايسمى بالشعب العبري تجسمت في الاسم فقط لا بالاصل المشترك بحيث وجب عليهم التحاور اذا اريد لهم النجاح بمعنى اوسع ان الديانة الجديدة انفردت منذ نشأتها بعبادة اله واحد من الآلهة وهذا ماجعل قائدهم موسى يعاد الها ظهر له في شبه جزيرة سيناء المتمثل بيهوا وقد دعوه ايضا بأيلوهيم وهي صيغة الجمع لكلمة ايلو التي معناها اله لانهم يعتبرون منه مجموع كافة القوى الالهية .

بعد مغادرة موسى وأتباعه ارض مصر في اوائل القرن الثالث عشر قبل الميلاد قضوا عدة سنوات في سيناء بجوار عين قادس على بعد ٥١ ميلا جنوب بئر سبع حيث تعرضوا لمتاعب كثيرة في تلك الصحراء المخيفة والجديدة عليهم بحيث ظلت تحاورها تراود العبرانيين عدة اجيال وهذا مايعرف بالتيه ، الذي استمر اربعون عاما وفي خلالها موسى في شبه جزيرة سيناء واختلط كثير من هؤلاء الاقوام بالقبائل العربية الشمالية ولاسيما ابناء مدين من العمورين . وفي حدود عام ١٢٥٠ قبل الميلاد بدأت هذه الجماعات البدوية المتحدرة من اخلاط العشائر تبحث عن ارض في الجهة الجنوبية الشرقية من بلاد الشام على في بادية شرق الاردن وهدفهم احتلال الارض الخصبة وكان عددهم لايتجاوز الستة آلاف شخص على اعتبار ان الصحراء لاتكفي في شروط حياتها إلى اكثر من هذه الكمية اضافة إلى الصعوبات التي لاقوها في عملية عبور صحراء سيناء وما صادفهم من اهوال ومصاعب بالاضافة إلى مقاومة السكان العرب الاصليين وخصوصاً الكنعانيين والاموريين .

وكان هؤلاء البدو متعطشين إلى ارض يستقرون عليها لذلك نراهم يحرزون بعض الانتصارات على احدى الدويلات الاموروية في شرق الاردن مستغلين الصراعات السياسية والحربية بين الدويلات السورية اضافة إلى الصراع الدولي المتمثل بالآشوريين والمصريين والحثيين على المنطقة ، فبدأ القوم الدخلاء يتغلغلون تغلغلا ساحيا بطيئا إلى الارض الخربة في بلاد الشام ، وبعد ان حصل القادمون الجدد على محط رجل في الارض المزروعة بدأت قوتهم تزداد بالتدريج وخصوصاً بالتزاوج مع عناصر قديمة في المنطقة لذلك بدأت المعارك مع الدول الكنعانية والاموروية بحيث اعطت التوراة حقائق مشوهة ومبالغ فيها ونحن نعرف ان دويلاتهم مااستطاعت الدخول في حروب مصيرية مع الكنعانيين وذلك لعدم مقدرتهم على خوض مثل هذه الحرب اضافة إلى تفوق الكنعانيين بالعدة والعدد وخصوصاً استعمالهم الاسلحة الحديدية التي لم يعرفها القادمون الجدد الا بعد حين وخصوصاً في عهد داؤود اى الالف الاول قبل الميلاد حيث تهيأ لهم معرفة صنع الاسلحة الحديدية أضافة إلى ضعف الدويلات في بلاد الشام ، حيث تم لهم تأسيس دويلتين صغيرتين في الاجزاء الجنوبية من بلاد الشام بعد احتلالهم لبعض المواقع الكنعانية ، الا أن التوراة تبدأ باعطاء صورة غير حقيقية ومشوهة للحقائق التاريخية في تلك الحقبة من الزمن بحيث دولت هاتين الدويلتين واعطتهما مكانة من العظمة والقوة بحيث عدتهما بعض الامبراطوريات متناسية ان التاريخ سيكشف هذا الزيف الواضح وخصوصا ان بلاد الشام لم تقم فيها دولة معتظمة واحدة وذلك لوجود الدول الكبرى المتمثلة بالامبراطوريات وخصوصا الامبراطورية الاشورية والمصرية التي عاصرت زمن تأسيس هذه الدويلة وعاصرت الأحداث السياسية في المنطقة والتي كانت هاتان الدويلتان من ضمن ممتلكاتها في بلاد الشام. وهذا ماتشهد به التوراة وتتغالط نفسها ، اضافة إلى ذلك ان الوثائق التاريخية لاتدعم هذه الافكار التي جاءت بها التوراة .

والشيء الذي يعرف ان الازمات التي تعرض لها القادمون الجدد في صراعهم مع السكان الاصليين المتمركزين في دول مستقلة يحكمها امراء وحكام وملوك قد عملت هذه النظم والافكار السابقة إلى ان يقتبسها الدخلاء الجدد بحيث ادت هذه المفاهيم إلى ظهور نظام الملكية التيوقراطية عندهم وهذا ماتذكره التوراة في سفر صاموئيل وفي سفر الملوك وكان اول ملك لهم هو شاؤول في عهد آخر القضاة والذي كان تابعا في حكمه إلى الكنعانيين الا أنه حاول الاستقلال فلم يستطع حيث قتل في احدى المعارك مع الكنعانيين فورث الحكم داؤود ثم سليمان وكان داؤود تابعاً في حكمه إلى الكنعانيين الا أنه استغل الظروف السياسية واستقل في النهاية واورث الحكم لسليمان الذي لم يستطع ان يوسع دولته اكثر مما استلمها من ابيه وذلك لتدخل فراعنة مصر في شؤون بلاد الشام هذا إلى جانب أن الدويلات الارامية في بلاد الشام كانت تهدد سليمان في المنطقة لذلك فان دويلة سليمان انقسمت بعده وفانه على نفسها إلى قسمين ولم تستطع مجابهة الدول في صراعاتها فسقطت مثل يد تجلاتبلاسر الثالث ملك الاشوريين في عام ٧٤٥ قبل الميلاد فتلاشت دويلتهم إلى الابد وذلك بعد ان قام سرجون الاشوري وخلفه سنحاريب الذي حكم من ٧٠٥ - ٦٨١ ق.م بسلسلة من الحملات والعمليات الحربية ضد الدويلات السورية جميعها وبلغت اوج قوة الهجمات الاشورية عام ٧٠١ قبل الميلاد ضد الدويلات السورية التي دخلت في تحالف مع المصريين ضد النفوذ الاشوري وكانت النتيجة انكسار هذا الحلف وتمت السيادة للاشوريين على المنطقة مما ادى إلى تقاعس الدويلات السورية نتيجة التغور الاشوري واصبحت هذه الدويلات من ضمن الممتلكات الاشورية واخذت بدفع الجزية السنوية بانتظام إلى الحكام الاشوريين .

وكنتيجة لسقوط الدولة الاشورية وعاصمتها نينوى في عام ٦١٢ ق.م بيد الدولة الجديدة « الدولة الكلدانية » ان امبراطورية بابل الثانية تشجعت مصر على توسيع حدودها باحتلال مناطق جديدة في بلاد الشام وكان من نتيجة هذا التوسع ان الدويلة العبرانية قد ترددت مابين سياسة الخضوع للدولة البابلية

في بلاد وادي الرافدين ومابين الدخول في حلف مع الدويلات السورية لمساعدة المصريين ضد الدولة البابلية ، وكانت النتيجة هي التحالف مع مصر بمساعدة الفرعون المصري نيخو. فبدأت بتحدي سياسة الملك البابلي نبوخذنصر وكانت النتيجة ان ارسلت بابل جيشاً يقوده الملك البابلي بنفسه ليحطم بذلك هذه الدويلة مع بقية الدويلات الاخرى وليجعل من بلاد الشام كلها ولاية تابعة إلى الامبراطورية البابلية إلى ان سقطت بابل على يد الفرس الاخمينيين في عام ٥٣٨ قبل الميلاد واصبحت بلاد الشام ولاية تابعة للاخمينين ومن ثم لليونان والرومان إلى ان حررها العرب في خلافة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه فعاد إلى بلاد الشام وجهها العربي ....